غرائب الاحكام

اذا صدقنا ما يبلغنا عن اميركا واوربا وننشره احياناً من غرائب الاحكام وعجائب القوانين الوقتية والدائمة حق لنا ان نعد بلادنا المصرية من اجود بلاد الدنيا احكاماً واثبتها قوانين واحقها بالثناء والشكر وان نحسب كل ما ننشره من الشكوى منها انما صدر منا بغير حق او كان قصد شفاء غلة اشتدت في الحين

على اننا لا ندري اذا كان كل ما ننقله عن الافرنج وغرائب احكامهم حقيقياً او مبالغاً فيه كما ننقل نحن عن احوال انفسنا في بعض الاحيان اعتماداً على ان المبالغة لا بد منها للوصول بسببها الى الحقيقة بما يكون فيها من شديد التنبيه ولكن سواء كان ذلك المنقول حقيقة او مبالغة فلا يخلو نقله والاطلاع عليه من فكاهة ولهو

فلقد ذكرت احدى الجرائد ان جلالة الفاضل المهذب الملك اوسكار ملك اسوج ونروج قد رأى منذ ايام وزير الحرب في بلاده لابساً قبعة طويلة وكأن لبس هذه القبعة مخالف لشروط العسكرية في تلك البلاد فاستدعى لديه هذا الوزير وعقد له مجلساً حربياً وحاكمه على هذه البدعة فحكم عليه بالسجن ثلاثة ايام. وهذا الحكم ليس بغريب في شروط الجندية وهي ام الغرائب فان بعض الممالك تعاقب جنودها كثيراً اذا اهملوا حلق ذقونهم يوماً واحداً وعندهم ان الجندي اما ان يكون ذا لحية تامة او ان يحلق ذقنه كل يوم ومثل

هذه الاحكام لو صدرت من شعب غير متمدن لكانت عندنا موضع الملامة والتقريع ولكنها اذ تصدر من ارقى شعوب العالم مدنية وعلماً نضطر الى احترامها وتقليدها احياناً من قبيل الاعتداد بان كل اعمال العظيم حسنات وما نظن هذا الاعتداد موجوداً الا في الشرق وحده اذ هو ابو الطوع والذل ولكن ما اجدر ذلك الحكم المشار اليه ان يقابل عندنا بالمثل العامي القائل « الواحد يحمل ذقنه والاخر يتعب بها »

ومما ذكروه من هذه الاحكام الغريبة ان ممثلة في فينا ظهرت على الملعب تمثل هيئة قائد حرب وتلبس كل ملابسه العسكرية فاستدعيت الى المحكمة فحكم عليها بدفع غرامة بدعوى ان هذا اللباس مخصوص بالجنود فلا يجوز لغير جندي ارتداؤه مع انهم قالوا انه لو وجد في البذلة زر واحد مخالف لسائر ازرارها لنجت الممثله من الغرامة فكأنهم ارادوا في اعتدادهم بهذا الفرق الدلالة على مبلغ الفرق بين العقول

وقد حدث ما يشبه ذلك في ثغرنا اذ مثلت عندنا رواية يظهر بها بعض ملوك اوربا واتفق ان رفع لكل دولة راية ثم حدث ان طرحت احدى الرايات على الارض لاحتقار اقتضاه موضوع الرواية فقام بعض رعية تلك الراية يظهرون غضبهم واستياءهم من هذا الاحتقار القديم ولو كان لهولاء حق الحكم لحاكموا رامي الراية وسجنوه

ومما يتعلق بهذا الشأن ما قرأناه في اثناء هذا الشهر بجريدة الستندرد الانكليزية وهو كتاب ارسله اليها احد الضباط يقول لها فيه ان دار الندوة قد اصدرت امراً منعت فيه لبس الاردية العسكرية لغير اربابها وانه يشاهد كل يوم رجال الملاعب يلبسون تلك الملابس على مرأى من رجال الشرطة

دون ان يمنعوا هذه المخالفة ولعل الشرطة كانت اعقل من جنابه فلم تحفل بهذه المخالفة

ومن غريب الاحكام ما رووه ايضاً عن مقاطعة اركنساس في الولايات المتحدة وهي انها اصدرت امراً بمنع التدخين بحجة انه من اشد الاضرار بالصحة وضربت لذلك غرامة فادحة تختلف بين مئة جنيه والف كما كان يجري في بدء التدخين عند اول عهده المعروف ثم زادت على ذلك فقررت العقاب ايضاً على كل من يهب سيكارة لصديقه وهذا الحكم يدل على ان تلك الولاية غنية جداً حتى لا يهمها مكس الدخان فعسى ان لا تقتدي بها حكومتنا المصرية والا خربت البلاد..... على ان حكومتنا لو جاز لها التوسع في مظالم الحكم لقررت تلك الغرامة على كل مدخن للحشيش ويقيننا انها لو فعلت شبه ذلك لما بقي في البلاد حشاش

هذا واننا مع استغرابنا لامثال تلك الاحكام واعتقادنا الظلم بها نجد في بعضها ولو كان غريباً مبلغاً كبيراً من الرحمة والاشفاق فمن ذلك ما قررته احدى ولايات اميركا المشار اليها فانها قد بالغت جداً في الرفق برجال الصحائف فسنت لهم شريعة تقضي بان لا تزيد مدة اشتغالهم عن ثماني ساعات في اليوم وان لا يكون معدل اجرة الواحد منهم في اليوم اقل من ثمانية ريالات

اما نحن فنقول انه لا يجب لنا في بلادنا مثل هذا القانون لرحمة محرري جرائدنا ومخبريها من حيث الوقت فهم يشتغلون اقل من ثماني ساعات لان بلادنا قليلة الاخبار والحوادث فلا يقتضي لتحصيلها الوقت الطويل وكذلك قراؤنا شديدو القناعة يقبلون كل حديث ومقال على علاتهما بلا نقد ولا تمييز فلا حاجة للكاتب بكثرة الوقت واجهاد الفكر . واما اجرة اليوم فما

احوجنا لشريعة تقضي بها فان الثمانية الريالات المذكورة اجرة لليوم الواحد تكاد تكون اجرة للشهر كله على قلة الكتاب عندنا وندورتهم ولكننا لا نعجب لذلك فكما نكون يولى علينا

ومن غريب الاحكام ايضاً وان كان مستحسناً ما رووه عن حكومة مدغسكر فانها لما وجدت التناسل يقل فيها جداً الى حد العقم فرضت ضريبة على كل رجل غير متزوج وضريبة اخف منها على كل متزوج يبلغ الخامسة والعشرين ولا يكون له ولد (ولا ندري ما سبب هذا الشرط) وفرضت مثل هذه الضريبة على كل عذراء تبلغ الرابعة والعشرين ولا تتزوج ثم تخف عنها هذه الضريبة اذا تزوجت ولم تلد فاذا ولدت حماها نجلها مما وقع عليها كما حمى سبية سيف الدولة لمى شفتيها

ولا يبعد ان تكون هذه البدعة على غرابتها قد جاءت من فرنسا صاحبة مدغسكر فقد قرأنا انها قررت هذه الضريبة في بلادها ولا ندري اذا كانت تجري الان اولا ولكنها على فائدتها لا تصح في تلك البلاد لمنافاتها للحرية الشخصية الاخلاقية

الا ان افضل الاحكام التي نختم بها هذا الفصل ما ذكروه عن احدى تلك الولايات المتحدة فانها قد قررت انه لا يجوز لرجل وامرأة ان يتزوجا الا اذا كانت مع كل منهما شهادة تدل على جودة صحتهما وسلامتهما من الامراض المعدية كالسل الرئوي والجنون وامثالهما وفرضت عقاباً صارماً على كل من يتزوج دون فحص وشهادة . وفي اعتقادنا ان هذا الحكم مهما كان ظالماً في ظاهر امره لحوله دون الاتفاق والرضى وشدة الحب بين الرجل والمرأة المؤتلفين فان نفعه لا ينكر لان به وحده تنجو الدنيا على التعاقب من اشد

الامراض المعدية واهولها فتكاً فلا تنقضي اجيال قليلة حتى يصير اعقابنا لا يعرفون ما هو السل الا من قراءة التواريخ كما كنا نظن اننا لا نقرأ في تاريخ الطب الا عن الطاعون.....

الحكم بالظواهر

ليس اجهل من المرء يلتمس المجد والجاه بان يكون محتقراً لسواه ولا اقبح من الانسان يطلب رفعة نفسه في ازدرائه ببني جنسه ولا ادل على قلة العقل فيمن لا يحكم على غيره بسوى لبسه انه لدى الحقيقة كالحيوان لا يعي الا ما يقع تحت حسه بل عجيب لهذا الحيوان الناطق الذي سعى وراء الطبيعة يستكشف مغيباتها ويستوضح بعقله محجباتها كيف يذهل عن معرفة اخيه الانسان وهو اقرب اليه من سائر الاكوان واولى منها بالاستثبات والعرفان وغريب له وقد تحقق اخفى الجواهر كيف تخفى عليه اوضح الظواهر وكيف تشتبه لديه مقادير الناس وقد نشأ بين الناس حتى ليغلط في الحكم عليهم باكذب الشهود وهما هيئة الوجه واللباس

قال العلامة اليازجي رحمه الله

لا تعطِ حكمك ما بدا لك امره حتى تقوم على حقيقة امره

وهذا البيت خليق بان يكون خلاصة الحكمة والهادي الى تقويم الخلق والطبع ومعرفة الانسان قدر نفسه وسواه وعندنا انه لو جرى الناس على

موجب هذا القول لما وجدنا بيننا متكبراً يحتقر سواه لغير سبب ولا منخدعاً بالظواهر لاقل عرض

ولو حقق المرء اكثر ما يجري بين الناس من خصومة ومنافسة لوجده صادراً عن غلط في الحكم واسراع فيه بل لو تعمق المرء في البحث والتحقيق لرأى ان الحكم على الشيء قبل استثبات كنهه انما هو رائد الغضب والحقد اللذين تتشوه بهما محاسن الدنيا فيتكدر صفاء الانسان

وليس الحكم على الاشياء او الناس لاول ما يبدو من امرهم بالشيء الهين الاحتمال المقبول النتيجة والعاقبة بل هو من اشد مصائب الانسان واجل الدواعي الى السخط والنفور والغلط في الحقائق التي تقوم بها الدنيا وكثيراً ما كان الحكم دون بحث وتروٍ من اسباب الحروب والفتن وعدوان الشعوب وطالما كان سبب خديعة الافراد وتنافرهم الى حد بعيد

ولقد بلي اكثر الناس بهذه النقيصة منذ بدء نشوئهم فما انفكت عنهم على كثرة تمدنهم وولوعهم بالحقائق وان النظر الى من قال دون ما قال واعتبار من صنع دون ما صنع لمصيبة قديمة كم ضاعت بسببها اقدار وكرامات وكم لزمت افئدة الفضلاء وارباب الحقائق حتى الممات بل كانت سبب الممات وكل ذلك انما يجري عن قصد يدعو اليه غمط الاحسان والكبرياء ولا يفعله الا ارباب الدناءة اللؤماء

على اننا الان لا ننظر الى تجاهل الناس لحقائق الاشياء والاقدار مما يكون صادراً عن عمد وقصد وان كان التنبيه الى ذلك ادعى واهم ولكننا ننظر الى جهل اكثر الناس وانخداعهم بظواهر الاشياء والناس قبل وقوفهم على الحقائق وهو جهل يمكن رده الى علم وعادة يصح تركها الى سواها